نحو منهج إسلامي لأدب الطفل

بقلم
د. عبدالقدوس أبو صالح

يتساءل بعض الأدباء : أهنالك حاجة إلى اصطلاح « أدب الطفل»؟.. وقد أجاب الدكتور (علي الحديدي) وهو أول من ألف في أدب الأطفال باللغة العربية عن هذا التساؤل فقال[1]: « إذا أردنا أن نُعرف أدب الأطفال فلا نجد له تعريفا مستقلا، بل نجده مندرجا في إطار الأدب العام، ومن ثم يجب أن نتناوله من البعدين اللذين يرتبط بهما شأن أدب الكبار تماما وهما الكتاب والقارئ ».

كما أجاب الدكتور (نجيب الكيلاني) وهو رائد من رواد الأدب الإسلامي عن هذا التساؤل أيضا بطريقة غير مباشرة حيث قال[2]:« بإيجاز شديد يمكننا القول بأن أدب الأطفال لا يختلف في مفهومه عن الأدب العام الإسلامي، إلاّ في كونه موجها إلى فئة خاصة هي الأطفال».

التعريف الخاص لأدب الطفل:

على أن الدكتور (الكيلاني) ما لبث أن عمد –من زاوية توجه أدب الأطفال إلى فئة خاصة– إلى إيضاح خصوصية هذا الأدب ومفهومه بما يشبه أن يكون تعريفا لأدب الطفل المسلم إذ مضى يقول [3]: «أدب الأطفال الإسلامي هو التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصادق في إيحاءاته ودلالاته والذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منها أساسا لبناء كيان الطفل عقليا ونفسيا ووجدانيا وسلوكيا وبدنيا، ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية».

وفي إطار المفهوم الخاص لأدب الطفل حدد الدكتور (نجيب الكيلاني) وظيفة أدب الأطفال في تحقيق أهداف كثيرة سردها سردا دون تدرج أو تبويب، ويمكننا أن نقسم هذه الأهداف على أربعة محاور هي :

أولاً: محور الأهداف الدينية، ويدخل فيها تأصيل العقيدة، وتشكيل الوجدان بتوضيح مكانة المرأة في الإسلام أما وأختا ثم زوجة.

ثانياً: محور الأهداف السلوكية،ويدخل فيها طبع السلوك بالطابع الإسلامي، وإيجاد التوازن النفسي، وتحديد مضمون السعادة، وتوضيح مفهوم الحياة وقيمتها، والحفاظ على مرحلة توتر صحية وتوجيهية.

ثالثاً: محور الأهداف الفنية، ويدخل فيها تنمية ملكة الخيال عند الطفل، وتنمية الإحساس بالجمال.

رابعاً: محور الأهداف التعليمية، ويدخل فيها حب العلم باعتباره فريضة، وإثراء الحصيلة اللغوية.

وأستطيع أن أضيف إلى هذه الأهداف مايلي:

أولاً: تنمية حب المطالعة وتوجيهها .

ثانياً: تنمية القدرة على التلاؤم الاجتماعي.

ثالثاً: تنمية الذوق الأدبي.

رابعاً: تنمية المواهب الأدبية الفطرية .

خامساً: إشباع الميل إلى المتعة الفنية.

سادساً: تحبيب الطفل بنماذج الأدب الإسلامي على مر العصور.

وبناء على هذه الأهداف فإن لأدب الطفل المسلم خصوصية تلائم مستوى المتلقين الأطفال، كما تلائم الأهداف المرجوة من هذا الأدب، ومن مراعاة هذه الخصوصية يأتي استثناء فن المقالة من الفنون التي تنتظم أدب الطفل، لأنها لا تناسب مدارك الأطفال مهما يُسر مستواها، ولا تملك من عناصر التشويق ما تملكه الفنون الأدبية الأخرى، وإن كان من المفيد أن نعود الأطفال على قراءة الخاطرة الموجزة عبر المجلات الخاصة بهم، إذ تمثل الخاطرة بذرة المقالة، والمقالة فن لا يجوز إهماله وإن فقد كثيرا من مكانته التي تحققت له في العصر الحديث.

ولنتحدث عن كل من الفنون الأدبية على ضوء الخصوصية التي تميزها من أدب الكبار:

أولاً: فن القصة

لا يشكك أحد بأن القصة تمثل الفن الأدبي الأكثر أهمية وتأثيرا في الطفل، وإذا كانت المسرحية أقرب الفنون الأدبية إلى القصة، فإن فن السيرة وفن الشعر لا يكادان يُقبلان لدى الأطفال إلا إذا سِيقا بأداء قصصي شائق، أو إذا تضمنا ما يشبه رغبة الطفل وإقباله على السرد القصصي .. وإذا كانت هدهدة الأم لطفلها وهو في المهد ترنيمة شعرية أو موسيقية، فإن مدارك الطفل في هذه السن المبكرة لا تستوعب ما في ترنيمة أمه من معنى، ولكنه ما أن يبلغ السنتين حتى يبدأ في استيعاب قصص أمه أو جدته، ويستمتع بها استمتاعا عجيبا، ويستعيد القصة ذاتها عشرات المرات، ذلك أن مدارك الطفل تكون موجهة إلى اكتشاف ما يحيط به في البيت بالنظر واللمس، أما القصة فإنها تعرفه بالعالم الذي يتجاوز ما ينظر إليه بعينيه أو يلمسه بيديه.

والقصة تغذي ميله الفطري إلى المتعة الفنية حين تفتح أمام خياله مجالا للانطلاق في عالم القصة الفسيح. وكما يفعل التطريب فعله بالطفل فيهدهده أو ينيمه فإن القصة تأخذ لبه بما فيها من عنصر التشويق والإثارة والميل إلى معرفة المجهول، والرغبة في ترقب الحدث المنتظر.

وليس هناك مجال محدود لكاتب قصص الأطفال، فهو يمكن أن يستمد أحداثها ويحدد زمانها ومكانها كما يشاء، ويمكن أن يختار شخصياتها من عالم الإنس أو عالم الجن أو عالم الحيوان، وإنما المهم أن يلتزم بما يوجبه فن القصة من صدق فني في سرد الحدث القصصي ورسم الشخصيات،

والوصول إلى هدف القصة، سواء من حيث الإمتاع أم التوجيه، دون أن يتم ذلك على حساب الأداء الفني، لأن القصة التي تفشل فنيا أو تفقد عنصر التشويق لا يمكن أن تحقق ما تهدف إليه وإنما سيكون مصيرها الإهمال والنسيان .

ومما ينبغي التنبيه إليه في عنصر التشويق ضرورة البعد عن إثارة مشاعر الرعب بقصد الإثارة، لأنها تبث هذه المشاعر في نفسية الطفل وتؤصلها فإذا بالطفل يخاف المشي والنوم في الظلام، ويكون عُرضة للكوابيس المفزعة في الليل.

اعتمد الدكتور (الحديدي) على معطيات علم النفس والتربية فكتب عن القصة لدى الأطفال، ولكنه مع ذلك وقع في بعض التجاوزات التي ينبغي أن ننبه إليها.

فهو يقول عن طفل السنتين[٤]:«وفي هذه السن يجب أن نجنب الطفل الحكايات المفزعة والمخيفة، كقصص الجنيّات والسحرة والأشرار، لأن الأطفال في هذه السن ليست لديهم خبرة بالحياة في هذا العالم، وإنما تغلب عليهم السذاجة فيصدقون كل ما يقال لهم، وهم في الحقيقة يعتقدون في قوة السحرة والأشرار وخوارق الجنيات حين تحكي لهم القصص قدراتهم الخارقة وأعمالهم الفائقة، ويعيشون في فزع ورعب في يقظتهم وأحلامهم، ومن الأفضل أن نستبقي قصص الجنيات حتى يصبح لدى الطفل معلومات أكثر عن العالم، تؤكد له عن طريق الحقائق أن هذه القصص وهم وخيال، وذلك بعد سن الخامسة».

والحقيقة التي فاتت الدكتور (الحديدي) أن الحكايات المفزعة وقصص الرعب تؤثر في الطفل تأثيرا ضارا حتى أوائل مراحل الطفولة - فلا يجوز أن يقتصر التحذير منها على مرحلة السنتين فقط.

ومن التجاوزات التي وقع فيها الدكتور (الحديدي) في مجال القصة ما سماه بقصص «الشقاوة» حيث قال[٥]:«والقصة طريق آخر من قصص التنفيس، فالأطفال وهم يستمعون إلى القصة يشاركون الولد الشقي فيها، ويندمجون معه في الأعمال التي يأتي بها ولا يستطيعون أن يفعلوها، وهم كذلك يستمتعون بتخلصه من المأزق، ويبتهجون لنجاته كما لو كانوا هم الناجين، وكثير من القصص التقليدية تبالغ في تصرفات «الشقاوة» ومن أجل ذلك تشد الأطفال إليها - في هذه السن - وتروقهم، فيقبلون عليها في رغبة ومتعة، وفوق ذلك نجد الولد «الشقي» في القصص يكافأ في آخر المطاف، وذلك يرضي الأطفال بدرجة كبيرة لأنه يمثل الحقيقة من واقع تجاربهم» .

ونرد على هذا التوجه فنقول: إن الذين يبالغون في تصوير الشر والسيئ من الأوضاع بحجة التنفير منها، أو حجة الإمتاع بها ، إنما يزينون لضعاف النفوس طرافة التجربة، وقد يوحون إليهم - وبخاصة الأطفال - محاولة تقليدها وهو أمر بالغ الخطورة وبخاصة بالنسبة للأطفال . فالإشارة إلى الشر لا تعني الإيغال فيه والغوص المغري لدى الطفل الذي لم تكتمل تجربته، ولم تتحدد مواقفه، وقد يجره ذلك إلى متاهات واضطرابات تلوث صفحته البيضاء، وتوقعه في كثير من الحيرة والبلبلة.

ثانيا: فن المسرحية

لا شك أن كثيرا مما قلته في فن القصة يمكن أن يقال في فن المسرحية، إلاّ أن القصة قد تحتمل أكثر من حادثة أو عقدة بينما لا ينبغي في مسرحية الأطفال أن تحمل أكثر من عقدة واحدة بسيطة، كما لا ينبغي أن تكثر فيها الفصول والمشاهد حتى لا تتداخل الحوادث وينقطع الحوار ويعجز الطفل عن متابعة المسرحية قراءة أوتمثيلا، بل إن المسرحية المكتوبة لا تناسب الطفل قبل سن اليفاع، لأنه لا يستطيع أن يملأ بخياله ما يكون من فجوات بين أجزاء الحدث المسرحي، أو من قفزات في المكان والزمان، ومن هنا يقول الدكتور (الكيلاني) [٦]:«وأدب مسرح الأطفال لا يكتب ليقرأ، بل ليمثل». وهذه حقيقة هامة لا يصح إغفالها فالطفل لا يستطيع أن يستمتع الاستمتاع الكامل بمسرحية له (وإن) كانت بأسلوب سهل ميسر، لأنها تفتقد إذا ما قرئت باقي المؤثرات الحيوية التي ترتبط بالبناء المسرحي الناجح، وسوف يمل الطفل وهو يقرأ الحوار وحده دون سرد، ثم وهو يتوقف عند بعض الملاحظات أو الوصف الزماني والمكاني والحركي، وذلك كله على النقيض من مسرح الكبار، حيث يمكنهم الاستمتاع بقراءة مسرحية لتوفيق

الحكيم كـ (أهل الكهف) أومسرحية مترجمة من روائع الأدب العالمي».

ثالثا : فن السيرة

إن الذي ينظر إلى كتب السيرة النبوية، ويتأمل في سير الصحابة والتابعين وأخبار السلف الصالح من الدعاة الصالحين والعلماء المؤرخين والحكام العادلين والقادة الفاتحين، وما يمكن أن يدرس من حياتهم ومواقفهم، لا يتردد في أن يلحق فن السيرة بفن القصة، من حيث المكانة التي يستحقها في منهج أدب الطفل المسلم.

ومن المؤسف أن الذين درسوا أدب الأطفال لم يفردوا لفن السيرة مبحثا خاصا، مع أنه من الفنون الأدبية التي ينبغي أن يلتفت إليها النقاد والدارسون مثلما التفت إليها وعُني بها الكتاب المبدعون.

وهنا ننبه على ما وقع فيه أيضا الدكتور (الحديدي) في فصل عنوانه «أدب الأطفال في العصر الإسلامي» إذ مضى يقرر أن الأطفال كانوا في صدر الإسلام ينظرون إلى الرسول ﷺ على أنه بطل أسطوري، فهو يقول[٧]:«وتتشوق قلوب الأطفال إلى الإسهام في هذه البطولات، وتنطلق خيالاتهم تتصور الرسول الكريم بطلا أسطوريا يحول الظلام نورا، ويبدل خوف الناس أمنا، ويقود العالم من الشر إلى الخير، يأتي بالمعجزات، ويقهر الجن والشياطين، وتقف اللات والعزى وكل الأصنام أمامه عاجزة لا تستطيع أن تناله بأذى - كأنها قادرة أن تنال غيره - وينبهر أطفال المسلمين، وهم يسمعون أن بطلهم قد أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وقطع هذه المسافات الشاسعة في لحظات قصار ويبلغ بهم العجب والإعجاب المدى حين يعرفون أنه استطاع أن يشق طريقه إلى السماء، إلى العالم المجهول، إلى مصدر القوة التي لم يستطع أحد من آلهة الجاهلية أن يتصل أو يصل إليه، وتتسع هالة النور المحيطة بالبطل فتمد في نظر الأطفال من الشرق إلى الغرب ومن الأرض إلى السماء، ويزدادون به إعجابا وتقديسا، ويندس فريق منهم بين الكبار في حلقات المسلمين، ليروا بطلهم العظيم رأي العين ويسمعوا منه» .

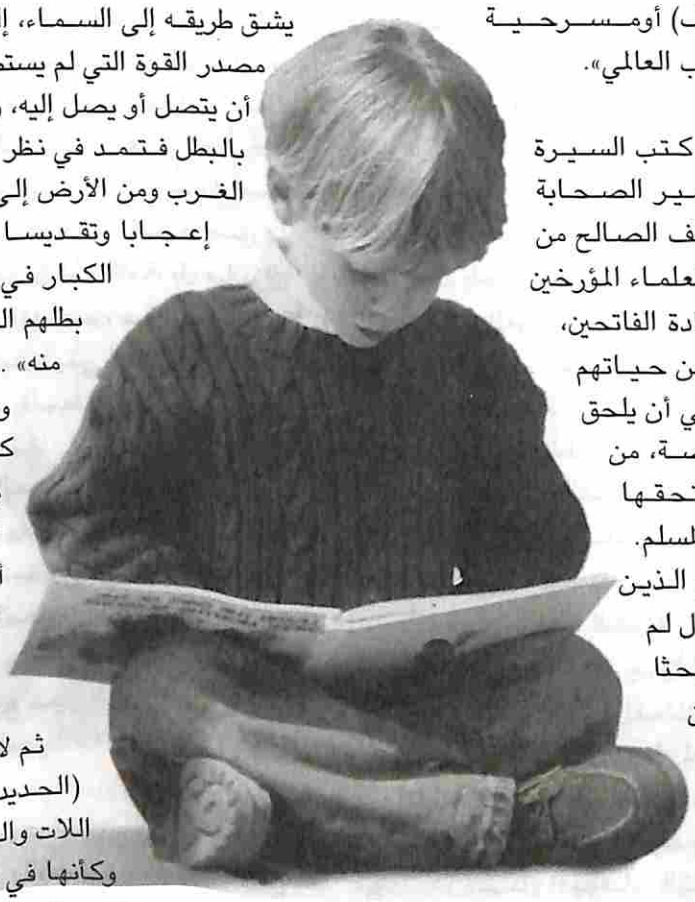

وهكذا نجد في هذا الكلام كثيرا من المآخذ التي تبدأ بتصوير الرسول ﷺ بطلا أسطوريا لا يقهر، وكأنه أحد أبطال (الميثولوجيا) اليونانية أو كأنه (سوبرمان) الذي تصدر مجلة للأطفال باسمه.

ثم لا يكتفي الدكتور (الحديدي) بذلك، بل يتحدث عن اللات والعزى وعن آلهة الجاهلية وكأنها في نظر أبناء الصحابة تضر وتنفع، ولكن الرسول ﷺ يقهرها وينتصر عليها، ولذلك فإن هؤلاء الأطفال كانوا يزدادون إعجابا به وتقديسا له، وكأن الدكتور (الحديدي) لم يسمع بقول الرسول ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم». ثم ما أدري ما تلك «الشطحة» التي جعلت الدكتور الحديدي يقرر هنا بأن فريقا من الأطفال يندس بين الكبار في حلقات المسلمين ليروا بطلهم العظيم - وهو الرسول ﷺ ويسمعوا منه؟!

على أنه كان من فضل الله تعالى أن التقصير في دراسة فن السيرة ومكانته في أدب الطفل لم يقترن بإهمال التأليف في هذا الفن، ولم يكن نتيجة لقلة ما أبُدع فيه للأطفال على مختلف مستوياتهم .. فقد نهض في ذلك نخبة من الرواد الأوائل، ثم اعتراه في السنوات الأخيرة كثير من الرتابة والقصور الفني إذ مارسه من لا يملكون الموهبة والقدرة، وأضحى مجالا لتنافس دور النشر تنافسا تجاريا.

ومع ذلك لا ينبغي أن يدعو هذا الهبوط إلى التقليل من مكانة فن السيرة الذي ينافس القصة الهادفة حين يرتبط بها من حيث التشويق، ويزيد عليها من حيث الواقعية أو المصداقية التاريخية، وهو يقدم مجالا خصبا للإنتاج الأدبي الذي يربط الطفل بدينه ومثله العليا ونماذجه التي ما تزال مواقفها المجيدة وصورها الرائعة حية ماثلة في وجدان هذه الأمة، بل ما يزال بعضها يتكرر في واقعنا المعاصر، سواء في جهاد الأفغان البطولي للغزو السوفيتي الشيوعي، أم في الانتفاضة الإسلامية في فلسطين على أيدي أطفال الحجارة.

وإنما ينبغي في فن السيرة أن يعنى بحسن الاقتباس، ودقة الاختيار، وحسن العرض، والبعد عن التكرار الممل، فالمجال فسيح في الزمان والمكان والحوادث التاريخية، والشخصيات الإسلامية تملك من التمايز والفرادة ما يساعد على تجنب التكرار الممل، كما تملك من التنوع عبر القرون وفي أنحاء العالم الإسلامي القديم والحديث ما لا يملكه تراث أمة أخرى .

وفي تاريخنا الإسلامي أحداث ونماذج تعطي أروع الأمثلة في عمق الإيمان والصبر وشدة البأس والشجاعة والبطولة والجرأة والنجدة والكرم، ثم في الذكاء والألمعية والتفاني في طلب العلم وخدمة الإنسان، وإني لأكاد أجزم أنه ليس هناك هدف من أهداف القصة الملائمة للأطفال لا نجد مجالا لأدائه عن طريق فن السيرة في تراثنا الإسلامي، بدءا من سيرة الرسول ﷺ إلى سيرة كثير من رجالات الإسلام عبر العصور، وحتى العصر الحديث.

رابعا: فن الشعر

لا يشك أحد أن هناك ميلا فطريا لدى الطفل إلى التطريب، ويربّى هذا الميل الفطري، وينمو بترنيمات المهد التي تهدهد بها الأم وحيدها، ثم ما تردد على أسماعه وهو صبي صغير، وترقصه به من كلام موزون، سواء ما كان منه بالفصحى(في العصور السابقة)، أم ما كان منه بالعامية (في عصور الهبوط والتخلف) .

وقد جمع الدكتور(أحمد عيسى) في كتابه «الغناء للأطفال عند العرب في إطار السيرة النبوية العطرة» كثيرا من النماذج الشعرية، وقدم بقوله [٨]: «والترقيص للإنسان من أقوم الوسائل لتربية الطفل وتنشئته وغرس جميل الخصال وحميد الفعال في ذهنه، قبل أن يشتد، حتى تتمكن أخلاقه وتنقش في مخيلته نقش القلم في الحجر، فيشب الطفل وقد انطبعت في جسده وامتزجت بلحمه ودمه».

وقد كان للعرب نصيب وافر من ذلك الكلام اشتهر عنهم، وحلَّ بينهم أعلى مكان في مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم الخاصة، وكان من الخصال الحميدة التي يتوخونها لتربية الطفل وتهذيبه، وغرس وجودها في عقولهم، الفخر والشجاعة والإقدام والحماسة والمؤاخاة والكرم وإغاثة الملهوف وغير ذلك من الخصال الحسنة الحميدة.

فإذا تجاوزنا فترة الطفولة المبكرة، رأينا أن الشعر الذي يدور في عالم الطفل يمكن أن يقسم ثلاثة أنواع:

أولها : الشعر الذي يؤلف للأطفال.

وثانيها: الشعر الذي يختار لهم.

وثالثها: الشعر الذي يتحدث عنهم.

والنوع الأول هو أهم ما يقدم للطفل وأشده تأثيرا فيه، وهو يشمل المقطعات الشعرية المبسطة التي يحفظها الأطفال في رياض الأطفال، وتدور حول وصف المدرسة أو المعلم والمعلمة أو حب الوالدين، وتتدرج في الصفوف الابتدائية الأولى إلى شيء من الشعر التعليمي الذي يقبل في مجال أدب الطفل خلافا لأدب الكبار، حيث يخرج الشعر التعليمي عند الكبار عن مفهوم الشعر ويدخل في دائرة النظم .

ويدور الشعر التعليمي للأطفال حول النظافة والصلاة وحب الوطن وأنماط السلوك الخلقي، كما تدخل فيه الأقاصيص الشعرية التي تعرف بالأمثال، وقد نظم فيها أمير الشعراء (أحمد شوقي)مقلدا لأمثال (لافونتين) الفرنسي. كما يدخل في هذا المجال الأناشيد المدرسية التي يغنيها الأطفال في المدرسة بصورة جماعية، سواء في الفصول أم في الحفلات المدرسية، وهي تؤثر في الأطفال وتنمي تلاؤمهم الاجتماعي، ويبقى أثر ذلك في ذاكرتهم ووجدانهم بعد تجاوزهم عهود الطفولة والشباب.

أمـــا النـوع الثـــاني من الشعـر الذي يقـدم للأطفـال، وهـو مـــا يـدخل تحت اسم المختارات الشعرية، فالمراد به ما يمكن أن نتنخّله من شعـر التـــراث مما يلائم مـــدارك الأطفال في سن السابعة وما بعدها.

وقـد كـانت رواية الشعـر وحفظه وسيلة لتربية أطفال المسلمين والناشـــئين عند السلف الصالح آخذا بما قاله عمـر بن الخطاب رضي الله عنه : «روُّوا أولادكم الشعـر، فإنه يعلمهم مكارم الأخلاق».

وفي هذا النوع من الشعر يدخل الشعـر القـصـصي القديم والمعاصر كميمية الحطيئة في الحض على الكرم، وكنونية الفرزدق في وصف الذئب، وما نقل من كتاب (كليلة ودمنة) شعرا، كما يدخل الشعـر الذي يقتبس من السيرة النبوية أو من سير الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أبطال الإسلام ورجالاته.

أما الشعر الذي يقال عن الأطفال ويصور عالمهم، أو يتحدث عن مشاعر الوالدين نحوهم، أو يسجل ذكريات طفولتهم البريئة، فهو شعر يقدم إلى الكبار أكثر مما يُعنى به الأطفال، وإن كان الشعـراء الذين ينظمون في هذا المجال الخصب يقدمون لدارسي أدب الطفل مادة وفيرة جديرة بالتقويم والتقدير، ومما يدخل في هذا المجال ديوان «رياحين الجنة» للشاعر الكبير الأستاذ (عمر الأميري) وقد صدر هذا الديوان عن رابطة الأدب الإسلامي، كما أصدر عضو الرابطة من قبله الأستاذ (محمد علي الرباوي) ديوانا آخر سماه «عصافير الصباح» وهو يدخل في هذا النوع من الشعر.

وهنا أيضا مأخذ نأخذه على أول من كتب في أدب الأطفال وهو الدكتور (الحديدي) إذ يقول [٩]: «فالشعر الذي كان يستمتع به الأجداد وحتى الآباء، قد لا يستمتع به أطفال اليوم، لأنه يتحدث عن معان أو صور قد تكون غير موجودة في محيط أطفال اليوم، والذين تتمثل البطولات في نظرهم في رجل الفضاء، أو مخترع (الكمبيوتر)، أو مكتشف دواء السرطان، أو محـــرر فلسطين والأرض المحتلة»...

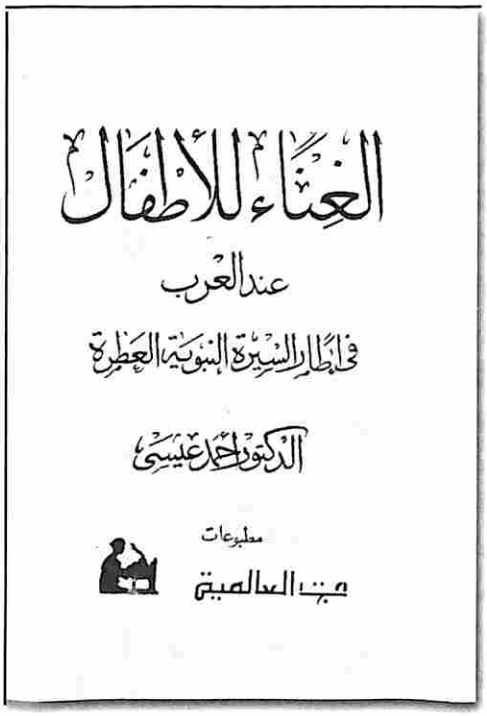

ونقـــول للرد على هذه المغـــالاة والشطط : نعم إن أطفال اليوم قد يتمثلون البطولة فـيـمن يحـرر فلسطين، ولكن الذين يرون البطولة في رجل الفضاء ومخترع (الكمبيوتر) ومكتشف دواء السرطان ولا يرونها في بطولات الصحابة والتابعين والقادة الفاتحين وأبطال الأمة الميامين في القديم والحديث، هم الأطفال الذين نشؤوا بعيدين عن التربية الإسلامية في البيت والمدرسة، وهم الذين تركناهم مع الأسف مع مجلات الأطفال المستغربة، ومسلسلات التلفاز المهجنة، تفتك في عقولهم وتأخذ ألبابهم وتشوه شخصياتهم.

ونحن نستظهر من قول الرسول ﷺ" «كل مولود يولد على الفطرة ...» أن الطفل صفحة بيضاء، ومن هنا يستطيع الآباء والمربون أن يوجهوا الأطفال بالحكمة والموعظة الحسنة والاختيار المدروس إلى ما هو خير لهم وأجدى.

وهم بالتالي يستطيعون أن يحببوا إليهم روائع المقطعات اليسيرة من شعر التراث مما نشأت عليه أجيال الأطفال في أمة الإسلام، دون أن يمنع ذلك أن يقدم إليهم الكثير من مقطعات الشعر المعاصر مما يلائم ظروفهم وبيئتهم وما جد فيها من جديد يخالف ما كان عليه الأجداد .. وإن من الخطأ الكامل في مغالاة الدكتور (الحديدي) أنها تؤدي إلى فقدان

الترابط بين الأجيال وتبعد الجيل الحاضر بدعوى التجديد عن تراثه، ومثله الأصيلة ولغته الفصحى.

أما الدكتور (الكيلاني) فقد أجمل الصفات التي ينبغي أن تتوافر في شعر الأطفال حيث قال[١٠]: «ويمكننا أن نجمل الصفات المناسبة لشعر الأطفال في الآتي :

أولا: الحرص على اللغة الشعرية لفظاً وعبارة وصورة.

ثانيا: الاهتمام بالبحور ذات الإيقاع الساحر الجذاب.

ثالثا: يسر الأفكار والمعاني وسهولتها.

رابعا: البعد عن التعقيدات البلاغية والبيانية.

خامسا: اختيار موضوعات تناسب واقع الطفل واهتماماته.

سادسا: توافق القيم الشعرية مع ما تعلمه الطفل من عقيدته الإسلامية .

سابعا: النظر في المشكلات الأخلاقية والنفسية والتربوية للأطفال والشباب، وتناولها في وقت مبكر فيما يقدم إليهم من شعر.

ثامنا: وضع أغاني الأطفال في التلفاز والمذياع تحت توجيه علماء الدين والنفس والتربية، لأن الأطفال يحفظون مثل تلك الأشعار وتؤثر فيهم أيما تأثير.

تاسعا: وحدة القافية، لما لها من آثار بالغة في نفسية الطفل ووجدانه .

عاشرا: شمول الصورة الشعرية لمختلف حواس الطفل.

وأخيرا، وعلى ضوء خصوصية أدب الطفل المسلم ومفهومه وأهدافه يمكن أن ننظر في بعض التوجيهات والاقتراحات التي تهدف إلى النهوض بأدب الطفل وتنتظم مسيرته الطويلة.

ومن أولى هذه التوجيهات ضرورة تغيير النظرة القديمة إلى أدب الطفل، وإعطاؤه ما يستحقه من المكانة والأهمية انطلاقا من دور الأدب في صياغة الوجدان وبناء الشخصية، وبناء على تلك النظرة القديمة القاصرة ينبغي ألا نعجب من انصراف طلابنا عن المطالعة، إذ لم نعودهم على القراءة منذ نعومة أظفارهم، ولا نعجب أيضا من اهتزاز مثلهم، واضطراب مفاهيمهم العقدية والسلوكية ما دام أدب الطفل ما يزال عند الكثيرين منا ممتهنا في مكانته، مضطربا في اتجاهاته، لا ينتظمه منهج إسلامي قويم، ولا يردفه إبداع فني غزير .

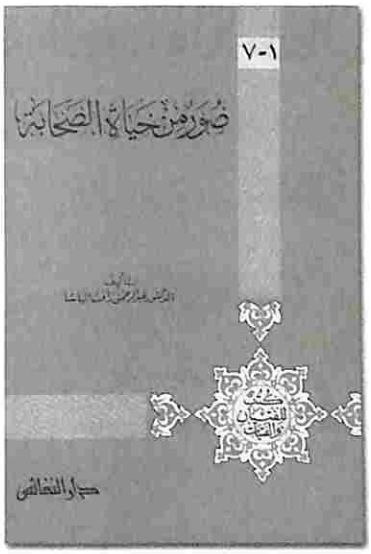

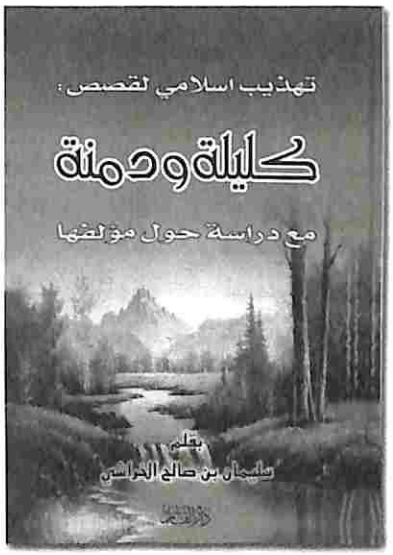

وفي ركام الإنتاج الحالي المشوش في أدب الأطفال يبدو الإسلامي القويم منه نزرا قليلا، سواء في مجال الفنون الأدبية، أو في مجلات الأطفال المسلسلة.

ثانيا: ينبغي أن يتخصص عدد من الأدباء الإسلاميين في أدب الطفل ممن يملكون الموهبة والقدرة الفنية، ويملكون من الثقافة التربوية والاستعداد اللغوي ما يجعلهم قادرين على الإنتاج الملائم للطفل مضمونا وشكلا.

على أن هذا التخصص الذي ندعو إليه ونصر عليه لا يمنع أن يسهم بعض الأدباء الذين يكتبون للكبار في إنتاج أدب الأطفال، على أن يراعوا خصوصية أدب الأطفال ومتطلباته كما قدمنا .

وقد فعل ذلك نخبة من الأدباء الكبار وعلى رأسهم أمير الشعراء (أحمد شوقي) كما قدمنا، ثم الأستاذ (سيد قطب)، والأستاذ (عبدالحميد جودة السحار)،

وسماحة الشيخ (أبي الحسن الندوي)، والدكتور (عبدالرحمن رأفت الباشا)، والأستاذ (محمد سعيد العريان) الذي كان له الفضل في (مصر) أن يُعترف رسميا بأدب الطفل واحدا من الفنون الأدبية الجادة الهادفة، وأن يخصص له المجلس الأعلى للفنون والآداب واحدة من جوائز الدولة لفروع الأدب .

ومما يبشر ويفرح القلب أن القائمين على جائزة الملك فيصل – رحمه الله – قد خصصوا جائزة عن أدب الطفل، وهذا يُعبر عن الأهمية التي تعطيها المملكة والقائمون على شؤون التربية والتعليم والتوجيه فيها للطفل من مكانة وهو رجل المستقبل.

ثالثا: ينبغي أن يتجه بعض النقاد الإسلاميين إلى نقد الإنتاج المعاصر في أدب الطفل وبيان سلبياته بما في ذلك المترجم منه، وفي المترجم سلبيات يضيق المجال عن تعدادها، بما في ذلك مجلات الأطفال التي تعمل الكثير منها على تغريب شخصية طفلنا المسلم، وتقديم الشخصية الغربية على أنها النموذج المثالي للإنسان(سوبرمان)، كما تقدم مثل الحضارة الغربية ونماذجها السلوكية على أنها أرفع وأقوم ما وصلت إليه البشرية .. وهذا ما يوقع أطفالنا في الفصام، فنحن نشدهم إلى عقيدتهم وإلى تراث أمتهم وإلى بناء شخصيتهم، ثم نقدم لهم ما يشدهم إلى ما يعاكس ذلك.

رابعا: ينبغي وضع دليل مبدئي للإنتاج الإسلامي المعاصر في أدب الطفل وذلك توطئة لما قدمتُه من ضرورة نقده وتقويمه، ولتعين الآباء والمربين على اختيار ما يقدمونه للطفل المسلم دون أن يُكتفى بالقليل المشهور بين الناس، ودون أن يُنتظر الإنتاج الجيد المأمول الذي ما يزال في علم الغيب.

وهنا يأتي دور رابطة الأدب الإسلامي التي ينبغي أن تتبنى وضع الفهرسة، كما يمكن أن تتبنى إعادة نشر مختارات من الإنتاج الإسلامي الجيد من أدب الطفل في شتى الفنون الأدبية، وأن يتوج ذلك بمعجم لأدب الأطفال.

خامسا: ينبغي على الرابطة أن تشجع الترجمة المتبادلة لما أنتج في أدب الطفل في شتى لغات الشعوب الإسلامية.

سادسا: ينبغي أن تضيف الرابطة إلى مشروعها عن نشر التراث الإسلامي ما يخص أدب الطفل، وذلك بتنخل أدب السيرة والتراجم وأمهات الكتب الأدبية، أو بنشر بعض الكتب الملائمة للأطفال نشرة معدلة . وأقرب مثال على ذلك كتاب (كليلة ودمنة) الذي يمكن حذف مقدمته التي سماها ابن المقفع بعرض الكتاب،، كما يمكن فك الارتباط وحذف التداخل في قصصه، مع حذف الأمثال التي ضربت لها كل قصة، وتبسيط أسلوبها دون أن ننسى تزيين هذه الطبعة بالصور الملونة.

وأخيراً : فإن أهم ما ينبغي التنبيه إليه قضية اللغة التي يكتب بها أدب الطفل المسلم، فهذه اللغة ينبغي أن تكون سهلة ميسرة دون أن تهبط إلى مستوى العامية بحجة قربها إلى أفهام الأطفال، كما ينبغي أن يتطور مستوى هذه اللغة حسب عمر الطفل، حتى إذا وصلنا إلى سن اليفاع أمكن أن يزداد الأسلوب جزالة والمفردات غنى وثراء، وأن تقدم التراكيب البليغة التي تنمي الثروة اللغوية، كما تنمي الفصاحة لدى اليافعين وتقربهم إلى لغة القرآن الكريم. ■

الهوامش:

(*) ألقيت هذه المحاضرة في نادي القصيم الأدبي بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٤١٠هـ .

(١) في أدب الأطفال ، د. علي الحديدي ، ص٦٦ ، ط٣ ، ١٩٨٢م، نشر مطبعة الأنجلو المصرية.

(٢) أدب الأطفال في ضوء الإسلام – د. نجيب الكيلاني – ص١٣ – ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٣) المصدر السابق ، ص١٤ .

(٤) في أدب الأطفال ، د . علي الحديدي ، المصدر السابق، ص٨٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص٩٥ .

(٦) أدب الأطفال في ضوء الإسلام، د. نجيب الكيلاني ، المصدر السابق، ص١٠٤ .

(٧) أدب الأطفال الإسلامي ، د . علي الحديدي ، المصدر السابق، ص٢٢٤ .

(٨) الغناء للأطفال عند العرب في إطار السيرة النبوية العطرة، د. أحمد عيسى ، ص (هـ) المقدمة، نشر ج م ت العالمية ، هونغ كونغ ، بدون سنة طبع.

(٩) في أدب الأطفال ، د . علي الحديدي ، المصدر السابق، ص٢٠٦ .

(١٠) أدب الأطفال في ضوء الإسلام، د. نجيب الكيلاني ، المصدر السابق، ص٨٩ .